

لانفتقها الخ وعلى ما قبله تهجين أمر فلاذتها لتأكيد ذمها بالبخل الدال عليه قوله تعالى حمالة الحطب على ما نقلناه سابقا عن قتادة ويحتمل غير ذلك ووجه التعبير بالجيد على ما ذكر مما لا يخفى وزعم بعضهم أن الكلام يحتمل أن يكون دعاه عليها بالحقق بالحبل وهو عن الذهن مناط الثريا نعم ذكر انها ماتت يوم ماتت مخنوقة بحبل حمات به حزمة حطب لكن هذا لا يستدعى حمل ما ذكر على الدعاء هذا واستشكل أمر تكليف أبي لُهب بالإيمان مع قوله تعالى سيصلى الخ بأنه بعد ان أخبر الله تعالى عنه بأنه سيصلى النار لا بد أن يصلها ولا يصلها الا الكافر فالأخبار بذلك يتضمن الأخبار بأنه لا يؤمن أصلا فتي كان مكلفا بالإيمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ومنه ما ذكرنا أن يكون مكلفا بان يؤمن بان لا يؤمن أصلا وهو جمع بين التقيضين خارج عن حد الامكان وأجيب عنه بأن ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن الكريم حتى يلزم أن يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر ويقال نحو هذا في الجواب عن تكليف الكافرين المذكورين في قوله تعالى قل يا أيها الكافرون الخ بالإيمان بناء على تعيينهم مع قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد الخ بناء على دلالة على استمرار عدم عبادتهم ما يعبد عليه الصلاة والسلام وأجاب بعضهم بأن قوله تعالى سيصلى الخ ليس نصا في أنه لا يؤمن أصلا فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لُهب منه أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره ولا يجرى هذا في الجواب عن تكليف أولئك الكافرين بناء على فهمهم السورة ارادة الاستمرار وأجاب بعض آخر بان من جاء فيه مثل ذلك وعلم به مكلف بان يؤمن بما عدها مما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وأجاب الكمي وأبو الحسين البصري وكذا القاضي عبد الجبار بغير ما ذكر مما رده الامام وقيل في خصوص هذه الآية أن المعنى سيصلى نارا ذات لُهب ويخلد فيها ان مات ولم يؤمن فليس ذلك مما هو نص في أنه لا يؤمن وما لهذه الاجوبة وما عليها يطلب من مطولات كتب الاصول والكلام واستدل بقوله تعالى وامرأته على صحة أنسكحة الكفار والله تعالى أعلم

سورة الاخلاص

وسميت بها لما فيها من التوحيد ولذا سميت أيضا بالاساس فان التوحيد أصل لسائر أصول الدين وعن كعب كإقال الحافظ بن رجب أسست السموات السبع والارضون السبع على هذه السورة قل هو الله أحد ورواه الزمخشري عن أبي وأنس مرفوعا ولم يذكره أحد من المحدثين المعتبرين كذلك وكيف كان فالمراد به كإقال ما خلقت السموات والارضون الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي تضمنتها هذه السورة وقيل معنى تأسيسها عليها أنها انما خلقت بالحق كإقال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناها الا بالحق وهو العدل والتوحيد وهو ان لم يرجع الى الاول لا يخلو عن نظر وقيل المراد ان مصحح ايجادها أي بعد ما مكنتها الفاني ما أشارت اليه السورة من وحدته عز وجل واستحالة ان يكون له سبحانه شريك اذ لو لا ذلك لم يمكن وجودها لا مكان التمانع كما قررره بعض الاجلة في توجيه برهانية قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفيه بعد وتسمى أيضا سورة قل هو الله احد كما هو مشهور يشير اليه الاثر أيضا والمقشقة لما سمعت في تفسير سورة الكافرون وسورة التوحيد وسورة التفريد وسورة التجريد وسورة النجاة وسورة الولاية وسورة المعرفة لان معرفة الله تعالى انما تتم بمعرفة ما فيها وفي اثر أن رجلا صلى فقرأها فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا عبد عرف ربه وسورة الجمال قيل لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله جميل يحب

الجملة فسألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقال احد صمد لم يلد ولم يولد ولا انظن صحة الخبر وسورة النسبة لورودها جوابا لمن قال انسب لتبارك على ما ستسمعه ان شاء الله تعالى وقيل لما اخرج الطبراني من طريق عثمان بن عبد الرحمن الطرايبي عن الوازع بن نافع عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكل نبيء نسبة ونسبة الله تعالى قل هو الله احد الله الصمد وهو كما قال الحافظ ابن رجب ضعيف جدا وعثمان يروي المساكير وفي الميزان انه موضوع وسورة الصمد وسورة المعوذة لما اخرج النسائي والزار وابن مردويه بسند صحيح عن عبد الله بن ابيس قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وضع يده على صدرى ثم قال قل فلم ادر ما أقول ثم قال قل هو الله احد فقلت حتى فرغت منها ثم قال قل أعوذ برب الفلق من شر ما حاق فقلت حتى فرغت منها ثم قال قل أعوذ برب الناس فقلت حتى فرغت منها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكنذا فتعوذ وما تعوذ المتعذون بمنان قط وسورة المانعة قيل للمازوي ابن عباس أنه تعالى قال لنيبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين عرج به أعطيتك سورة الاخلاص وهي من ذخائر كنوز عرشى وهي المانعة تمنع كربات القبر ونفحات التيران والظاهر عدم صحة هذا الخبر ويعارضه ما اخرج ابن الضريس عن ابي امامة أربع آيات نزلت من كنز العرش لم ينزل منه غيرهن أم الكتاب وآية الكرسي وخاتمة سورة البقرة والكوثر وحكمه حكم المرفوع بل اخرج الشيخ ابن حبان والديلمي وغيرهما بالسند عن ابي امامة مرفوعا وسورة المحضر قيل لان الملائكة عليهم السلام تحضر لاستماعها اذا قرئت وسورة المنفرة قيل لان الشيطان ينفر عند قراءتها وسورة البراءة قيل لما روى أنه عليه الصلاة والسلام رأى رجلا يقرؤها فقل أما هذا فقد برىء من الشرك ولم ادر من روى ذلك نعم روى ابو نعيم من طريق عمرو بن مرزوق عن شعبة عن مهاجر قال سمعت رجلا يقول سحبت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر فسمع رجلا يقرأ قل يا أيها الكافرون فقال قد برىء من الشرك وسمع آخر يقرأ قل هو الله احد فقال غفر له وعليه فالحق بهذا الاسم سورة الكافرون ولعل الاولى أن يقال سميت بذلك لما في حديث الترمذي عن أنس من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله احد مائة مرة كتب الله تعالى له براءة من النار وسورة المذكرة لانها تذكر خاص التوحيد وسورة النور قيل لما روى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لكل نبيء نورا ونور القرآن قل هو الله احد وسورة الايمان لانه لا يتم بدون ما تضمنته من التوحيد وقد ذكر معظم هذه الاسماء الامام الرازي وبين وجه التسمية بها بما بين والرجل رحمه الله تعالى ليس بامام في معرفة أحوال المرويات لا يميز بينها من سمينها ولا يبالى بذلك فيكتب ما ظفر به وان عرف شدة ضعفه وهي مكية في قول عبد الله والحسن وعكرمة وعطاء ومجاهد وقتادة مدينة في قول ابن عباس ومحمد بن كعب وأبي العالية والضحاك قاله في البحر وخبر ابن عباس السابق ان صح ظاهر في انها عنده مكية وفي الاتقان فيها قولان لحدِيثين في سبب نزولها متعارضين وجمع بعضهم بينهما بتكرار نزولها ثم ظهر لي ترجيح انها مدينة اه وعلى ما في الكتابين لا يخفى ما في قول الدواني انها مكية بالاتفاق من الدلالة على قلة الاطلاع وآياتها خمس في المكي والشامي أربع في غيرها ووضعت هنا قبيل للوزان في اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة المسد وقيل وهو الاولى انها متصلة بقل يا أيها الكافرون في المعنى فهما بمنزلة كلمة التوحيد في النبي والاثبات ولذا يسميان المقشقتين وقرن بينهما في القراءة في صلوات كثيرة على ما قاله بعض الأئمة كركمى الفجر والطواف والضحي وسنة المغرب وصبح المسافر ومغرب ليلة الجمعة الا انه فصل بينهما بالسورتين لما تقدم من الوجه ونحوه وكان في ايلائها سورة تبت ردا على ابي لهب بخصوصه وجاء فيها أخبار كثيرة تدل على مزيد فضلها منها ما تقدم

أنفا وروى مبارك بن فضالة عن أنس إن رجلا قال يا رسول الله انى أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) قال ان حبك اياها أدخلك الجنة وأخرجه الامام أحمد في المسند عن أبي النضر عن مبارك المذكور عن أنس وذكر البخارى ان حبها يوجب دخول الجنة تعليقا وروى مالك عن عبد الله بن عبد الرحمن قال سمعت ابا هريرة يقول أقبلت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعت رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجبت قمت وما وجبت قال الجنة وأخرجه النسائي والترمذى وقال حديث صحيح لانرفه الا من حديث مالك وأخرج أبو داود وابن ماجه والترمذى وقال حسن غريب عن بريدة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى أسألك بانى أشهد أنك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لقد سألت الله باسمه الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى وفي المسند عن مجنون بن الادرع ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دخل المسجد فاذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد ويقول انى أسألك يا الله الواحد الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لى ذنوبى انك انت الغفور الرحيم فقال نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث مرث قد غفر له قد غفر له قد غفر له وأخرج البخارى ومالك وأبو داود والنسائي عن أبى سعيد ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالمها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده انها تعدل ثلث القرآن وأخرج احمد والنسائي في اليوم والليله من طريق هشيم عن ابى بن كعب أو رجل من الانصار قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد فكانما قرأ ثلث القرآن وفي رواية يوسف بن عطية الصفار بسنده عن أبى مرفوع من قرأ قل هو الله أحد فكانما قرأ ثلث القرآن وكتب له من الحسنات بعدد من أشرك بالله تعالى وآمن به وجاءها تعدل ثلث القرآن في عدة أخبار مرفوعة وموقوفة وفي المسند من طريق ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال بات فتادة بن النعمان يقرأ الآية كله بقل هو الله أحد فذكر ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والذى نفسى بيده انها تعدل نصف القرآن أو ثلثه وحمل على الشك من الراوى والروايات تعين الثلث واختلف في المراد بذلك فقيل المراد أنها باعتبار معناها ثلث من القرآن الجزأ الى ثلاثة لا ان نواب قراءتها ثلث نواب القرآن والى هذا ذهب جماعة لكنهم اختلفوا في بيان ذلك فقيل أن القرآن يشتمل على قصص وأحكام وعقائد وهي كلها مما يتعلق بالعقائد فكانت ثلثا بذلك الاعتبار وقال الغزالي في الجواهر ما حاصله هي عدل ثلثه باعتبار أنواع العلوم الثلاثة التى هي أم ما في القرآن علم المبدأ وعلم المعاد وعلم ما بينهما أعنى الصراط المستقيم وقال الجونى المطالب التى في القرآن معظمها الاصول الثلاثة التى بها يصح الاسلام ويحصل الايمان وهي معرفة الله تعالى والاعتراف بصدق رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم واعتقاد القيام بين يديه وهذه السورة تفيد الاصل الاول فهمى ثلثه من هذا الوجه وقيل القراءت قسمان خبر وانشاء والخبر قسمان خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق فهذه ثلاثة ائلات وسورة الاخلاص أخلاصت الخبر عن الخالق فهمى بهذا الاعتبار ثلث وهذا كما ترى وأيا ما كان قيل لا تنافى بين رواية الثلث ورواية عدل القرآن كله المذكورة في الكشف على تقدير ثبوتها لجواز ان يقال هي عدل القرآن باعتبار ان المقصود التوحيد وما عداه ذرائع اليه ويؤيد اعتبار الاجزاء انفسها دون الثواب ما في صحيح مسلم من طريق فتادة عن ابى الدرداء أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيعجز أحدكم ان يقرأ كل يوم ثلث القرآن قالوا نعم قال فان الله تعالى جزأ القرآن

ثلاثة أجزاء فقل هو الله أحد نلت القرآن وقيل المراد تعدل الثلث ثوابا بالظواهر الاحاديث وضعف ذلك ابن عقيل وقال لا يجوز أن يكون المعنى فله أجر نلت القرآن لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات فيكون ثواب قراءة القرآن بتهامة اضعافا مضاعفة بالنسبة لثواب قراءة هذه السورة والدواني أورد هذا اشكالا على هذا القول ثم أجاب بان للقارىء ثوابين تفصيليا بحسب قراءة الحروف واجماليا بسبب ختمه القرآن فتواب (قل هو الله أحد) يعدل نلت ثواب الحتم الاجمالي لا غيره ونظيره اذا عين أحد لمن يبنى له دارا في كل يوم دنابر وعين له اذا أتمه جائزة أخرى غير أجرته اليومية وفي شرح البخارى للكرمانى فان قلت المشقة في قراءة الثلث أكثر منها في قراءتها فكيف يكون حكمه حكما فقلت يكون ثواب قراءة الثلث بعشر وثواب قراءتها بقدر ثواب مرة منها لان التشبيه في الاصل دون الزائد وتسع منها في مقابلة زيادة المشقة وقال الحفاجى بعد أن قال ليس فيما ذكر ما يتلج الصدر ويطمئن له البال والذى عندى في ذلك ان للناظر في معنى كلام الله تعالى المتسدير لا آياته ثوابا ولتعالى له وان لم يفهمه ثواب آخر فالمراد ان من تلاها مراعىا حقوق اداها فاهما دقيق معانيها كانت تلاوته لها مع تاملها وتدبرها تعدل ثواب تلاوة نلت القرآن من غير نظر في معانيه أو نلت ليس فيه ما يتعلق بمعرفة الله تعالى وتوحيده ولا بدع في أشرف المعاني اذا ضم لبعض من أشرف الالفاظ أن يعدل من جنس تلك الالفاظ مقدارا كثيرا ككوح ذهب زنته عشرة مثاقيل مرصع بانفس الجواهر يساوى ألف مثقال ذهبا فصاعدا انتهى ولا أرى له كثيرا امتياز على غيره مما تقدم والذى اختاره ان يقال لامانع من ان يخص الله عز وجل بعض العبادات التى ليس فيها كثير مشقة بثواب اكثر من ثواب ما هو من جنسها واشق منها باضعاف مضاعفة وهو سبحانه الذى لا حجر عليه ولا يتناهى جوده وكرمه فلا يبعد أن يفضل جل وعلا على قارىء القرآن بكل حرف عشر حسنات ويزيد على ذلك اضعافا مضاعفة جدا لقارىء الاخلاص بحيث يعدل ثوابه ثواب قارىء نلت منه غير مشتمل على نلت السورة ويفوز حكمة التخصيص الى علمه سبحانه وكذا يقال في أمثالها وهذا مراد من جعل ذلك من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه وليس هذا ببعيد ولا أبداع من تخصيص بعض الازمنة والامكنة المتحددة الماهية بان للعبادة منه ولو قليلة من الثواب ما يزيد اضعافا مضاعفة على ثواب العبادة في مجاوره مثلا ولو كثيرة بل قد خص سبحانه بعض الازمنة والامكنة بوجوب العبادة فيه وبعضها بحرمتها فيه وله سبحانه في كل ذلك من الحكم ما هو به أعلم وقال ابن عبد البر (١) انسكوت في هذه المسئلة أفضل من الكلام فيها وأسلم وكذلك حديث معاوية بن معاوية اللبى الذى افتتح به الامام الكلام في هذه السورة الكريمة خرج الطبرانى وأبو يعلى من طرق كلها ضعيفة والاحاديث الصحيحة الواردة فيها تكفى في فضلها بل

(١) قوله انسكوت في هذه المسئلة أفضل من الكلام فيها وأسلم وكذلك حديث معاوية الخ كذا في النسخ لكن في نسخة المؤلف بعد قوله وأسلم مانصه ثم أسند الى اسحق بن منصور قلت لاحمد بن حنبل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل نلت القرآن ما وجهه فلم يبق فيها على أمر ثم ذكر عن الامام أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه اتهمنا وهما امامان بالسنة ما قاما ولا قعدا في هذه المسئلة وقد سئل عنها ومراده من ذلك تأييد ما دعى من ان انسكوت أسلم وهو كذلك لكن على الوجه الذى قررناه وقد ورد في تكرار قراءتها خمسين مرة أو أكثر من ذلك وعشر مرات عقيب كل صلاة أحاديث كثيرة فيها كما قال الحافظ ابن رجب ضعف وكذلك حديث الخ لكنه مضروب عليه في نسخته ولا يخفى عليك الحال في كلا الأمرين اه منه

قيل لذلك انها أفضل سورة في القرآن ومنهم من استدل عليه بما روى الدارمي في مسنده عن أبي المغيرة عن صفوان الكلاعي قال قال رجل يا رسول الله أي سور القرآن أعظم قال قل هو الله أحد وفي المسند من طريق معاذ بن رفاعه وأسيد بن عبد الرحمن عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم قلت بلى قال فاقرا نبي قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم قال يا عقبة لا تنساها ولا تبت لبسلة حتى تقرأهن وروى الترمذي بعض هذا الحديث وحسنه ولا يدل على أنها أفضل سور القرآن مطلقا بل على أنها من الافضل وقال ابن الحصاد العجب ممن ينكر الاختلاف في الفضل مع كثرة النصوص الواردة فيه واختلاف القائلون بالفضل فقال بعضهم الفضل راجع الى عظم ومضاعفة الثواب بحسب انتقالات النفس وخشيتها وتدرجها عند أوصاف العلاء وقيل بل يرجع لذات اللفظ فان تضمنته سورة الاخلاص مثلا من الدلالة على الوجدانية وصفاته تعالى ليس موجودا في تبت مثلا فالفضل انما هو بالعماني المحيية وكثرتها ونقل الحليمي عن البيهقي ان معنى التفضيل بين الآيات والسور يرجع الى أشياء أحدها أن يكون العمل بها أولى من العمل باخرى وأعود على الناس وعلى هذا يقال في آيات الامر والنهي والوعود والنوعيد خير من آيات القصص لانه انما أريد بها تأكيد الامر والنهي والانهذار والتبشير ولا غنى للناس عن هذه الامور وقد يستغنون عن القصص فكان ما هو اعود عليهم وانفع لهم مما يجرى مجرى الاصول خير لهم مما يجعل تبعا لما لا بد منه الثاني ان يقال الآيات التي تشتمل على تعديد اسماء الله تعالى وبيان صفاته والدلالة على عظمته عز وجل افضل بمعنى انها اسنى واجل قدرا مما لا تشتمل على ذلك الثالث ان يقال سورة خير من سورة او آية خير من آية بمعنى ان القارىء يتمجل له بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل ويتادى منه بتلاوتها عبادة كآية الكرسي والاخلاص والمعوذتين فان قارئها يتمجل بقراءتها الاحتراس مما يخشى والاعتصام بالله تعالى ويتادى بتلاوتها عبادة الله سبحانه لما فيها من ذكره تعالى بالصفات العلاء على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس الى فضل ذلك الذكر وبركته واما آيات الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها اقامة حكم وانما يقع بها علم وقد يقال ان سورة افضل من سورة لان الله تعالى جعل قراءتها لقراءة اضعافها مما سواها وواجب بها من الثواب ما لم يوجب سبحانه لغيرها وان كان المعنى الذي لاجله يلبس بها هذا المقدار لا يظهر لنا وهذا نظير ما يقال في تفضيل الازمنة والامكنة بعضها على بعض على ما سمعت آتفا وبالجملة التفضيل باحد هذه الاعتبارات لا ينافي كون الكل كلام الله عزوجل ومتحد النسبة اليه سبحانه كما لا يخفى والله تعالى أعلم

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) المشهور أن هو ضمير الشأن ومحل الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ومنها لا يكون لها رابط لانها عين المبتدا في المعنى والسر في تصديرها به التنبيه من أول الامر على غمامة مضمونها مع ما فيه من زيادة التحقيق والتقرير فان الضمير لا يفهم منه من أول الامر الا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما أمامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وقول الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز ان له مع ان حسنا بل لا يصح بدونها غير مسلم نعم قال الشهاب القاسمي ان ههنا اشكالا لانه ان جعل الخبر مجموع معنى الجملة المدين في باب القضية أعنى مجموع الله ومعنى أحد والنسبة بينهما ففيه ان الظاهر ان ذلك المجموع ليس هو الشأن وانما الشأن مضمون الجملة الذي هو مفرد أعنى الوجدانية وان جعل مضمون الجملة الذي هو مفرد فتخصيص عدم الرابط بالجملة الخبر بها عن

ضمير الشأن غير متجه اذ كل جملة كذلك لان الخبر لا بد من اتحاده بالابتداء بحسب الذات ولا يتحد به كذلك الا مضمون الجملة الذي هو مفرد وأجيب باختيار الشق الاول كما يرشد اليه تميم عن هذا الضمير أحيانا بضمير القصة ضرورة أن مضمون الجملة الذي هو مفرد ليس بقصة وانما القصة مضاهها المين في باب الفضية وأيضاً يعدون مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما أعطيت ولا تمنع لما تمنعت ولا ينفع ذا الجدم منك الجدم من اجل التي هي عين المبتدأ في المعنى الغير المحتاجة الى الضمير لذلك ومن المعلوم أن ما يقال ليس المضمون الذي هو مفرد بل هو الجملة بذلك المعنى ولذا تراهم يوجبون كسر همزة ان بعد القول وكذا تمثيلهم لها بنطق الله حسي ونبي أي منطوق الذي أنطق به ذلك اذ من الظاهر أن ما نطق به هو الجملة بالمعنى المعروف وقد دل كلام ابن مالك في التسهيل على المراد يكون الجملة التي لا تحتاج الى رابط عين المبتدأ انها وقعت خبراً عن مفرد مدلوله جملة وهو ظاهر فيما قلنا ايضا وكون ذلك شائنا اي عظيماً من الامور باعتبار ما تضمنه ووصف الكلام بالمعظم ومقابلته بهذا الاعتبار شائع ذائع وقال العلامة احمد الفينجى ان اريد أنها عينه بحسب المفهوم فهو مشكل لعدم الفائدة وان ار يدعيه بحسب المصدق مع التغير في المفهوم كما هو شان سائر الموضوعات مع محمولاتها فقد يقال انه مشكل ايضا اذ ماصدق ضمير الشأن أعم من الله أحد والخاص لا يحمل على العام في القضايا الكليّة ودعوى الجزئية في هذا المقام يذبو عنه تصريحهم بأن ضمير الشأن لا يخلو عن ايهام وبعبارة أخرى وهي ان ما صدق عليه ضمير الشأن مفرد وما صدق الجملة مركب ولا نية من المفرد بمركب ولذا تراهم يؤولون الجملة الواقعة خبراً بمفرد صادق على المبتدأ ليصح وقوعها خبراً والتزام ذلك في الجملة الواقعة خبراً عن ضمير الشأن ينافيه تصريحهم بانها غير مؤولة بالمفرد وان كانت في موقعه وأجيب بان معنى قولهم هو ضمير الشأن انه ضمير راجع اليه وموضوع موضعه وان لم يسبق له ذكر للايدان بانه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد واليه يشير كل مشير وعليه يعود كل ضمير وقولهم في عد الضمان التي ترجع الى متأخر لفظاً ورتبة منها ضمير الشأن فانه راجع الى الجملة بعده مسامحة ارتكبوها لان بيان الشأن وتعيين المراد به بها فإذا صدق الضمير هو بعينه ماصدق الشأن الذي عاد هو عليه فيختار الشق الثاني فاما ان يراد بالشأن الشأن المبهود ادعاه وتجهل الفضية شخصية نظير هذا زيد واما أن يراد المعنى الكلي وتجهل الفضية ههملته وهي في قوة الجزئية كأنه قيل بعض الشأن الله أحد وجاء الابهام الذي ادعى تصريحهم به من عدم تعيين البعض قبيل ذكر الجملة وحملها عليه وما صدق عليه الشأن كما يكون مفرداً يكون جملة فليكن هنا كذلك واستمعجد الاول واحتمال السكينة مبالغة نحو كل الصيد في جوف الفرا كما ترى فليتنامل وجوزوا ان يكون هو ضمير المسؤول عنه أو المطلوب صفته أو نسبته فقد أخرج الامام أحمد في مسنده والبخارى في تاريخه والترمذي والبيهقي في معجمه وابن عاصم في السنة والحاكم وصححه وغيرهم عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا محمد انسب لنا ربك فانزل الله تعالى قل هو الله أحد السورة وأخرج ابن جرير وابن المنذر والطبراني في الاوسط والبيهقي بسند حسن وآخرون عن جابر قال جاء انعراى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انسب لنا ربك فانزل الله تعالى قل هو الله أحد الخ وفي المعالم عن ابن عباس ان عامر بن الطفيل وأرشد ابن ربيعة أنبا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عامر إلام تدعونا يا محمد قال الى الله قالوا صفه لنا من ذهب هو أم من فضة أو من حديد أو من خشب فنزلت هذه السورة فاهلك الله تعالى اريد بالصاعقة وعامراً بالطاعون وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الامعاء والصفات عن ابن عباس ان اليهود جاءت الى النبي عليه الصلاة

والسلام منهم كعب بن الأشرف وحبي بن أخطب فقالوا يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فانزل الله تعالى السيرة وكون السائلين اليهود مروى عن الضحاك وابن جبير وقتادة ومقاتل وهو ظاهر في ان السورة مدنية وجاز رجوع الضمير الى ذلك للمسلم به من السؤال وجرى ذكره فيه وهو عليه مبتدأ والاسم الجليل خبره وأحد خبر بمسد خبر وأجاز الزمخشري أن يكون بدلًا من الاسم الجليل على ما هو المختار من جواز ابدال النكرة من المعرفة وان يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو أحد وأجازوا البقاء ان يكون الاسم الاعظم بدلًا من هو أحد خبره والله تعالى ونقدس علم على الذات الواجب الوجود كما ذهب اليه جمهور الاشاعرة وغيرهم خلافا للمعتزلة حيث قالوا العلم في حقه سبحانه محال لان أحداً لا يعلم ذاته تعالى الخصوص بخصوصية حتى يوضع له وإنما يعلم بمفاهيم كلية منحصرة في فرد فيكون اللفظ موضوعاً لأمثال تلك المفاهيم الكلية فلا يكون علماً ورد بانه تعالى عالم بخصوصية ذاته فيجوز أن يضع لفظاً بازائه بخصوصه فيكون علماً وهذا على مذهب القائلين بأن الواضع هو الله تعالى ظاهر الا انه يلزم أن يكون ما يفهم من لفظ الله غير ما وضع له اذ لا يعلم غيره تعالى خصوصية ذاته تعالى التي هي الموضوع له على هذا التقدير والقول بانه يجوز ان يكون المفهوم الكلي آلة للوضع ويكون الموضوع له هو الخصوصية التي يصدق عليها المفهوم الكلي كما قيل في هذا ونظائره يلزم عليه ايضاً ان يكون وضع اللفظ لما لا يفهم منه فانا لانفهم من أمثاله تعالى الا تلك المفاهيم الكلية والظاهر ان الملائكة عليهم السلام كذلك لاحتجاب ذاته عز وجل عن غيره سبحانه ومن هنا استظهر بعض الاجلة ما نقل عن حجة الاسلام ان الاشبه ان الاسم الجليل جار في الدلالة على الموجود الحق الجامع لصفات الالهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالموجود الحقيقي مجرى الاعلام اى وليس يعلم وقد مر ما يتعلق بذلك أول الكتاب فارجع اليه بقى في هذا المقام بحث وهو ان الاعلام الشخصية كزيد اما ان يكون كل منها موضوعاً للشخص المعين كما هو المتبادر المشهور فاذا اخبر احد بتولد ابن له فسماه زيدا مثلاً من غير ان يبصره يكون ذلك اللفظ اسماً للصورة الخيالية التي حصلت في مخيلته وحينئذ اذا لم يكن المولود بهذه السورة لم يكن اطلاق الاسم عليه بحسب ذلك الوضع ولو قيل بكونه موضوعاً للمفهوم الكلي المنحصر في ذلك الفرد لم يكن علماً كما سبق ثم اذا سمعنا علماً من تلك الاعلام الشخصية ولم نبصر مسماه أصلاً فانا لانفهم الخصوصية التي هو عليها بل ربما تخيلناه على غير ما هو عليه من الصور وإما أن يكون جميع تلك الصور الخيالية موضوعاً له فيكون من قبيل اللفظ المشتركة بين معان غير محصورة واما أن يكون الموضوع له هو الخصوصية التي هو عليها فقط فيكون غيرها خارجاً عن الموضوع له فيكون فهم غيرها من الخصوصيات منه غلطاً فاما أن يترك دعوى كون تلك الاعلام جزئيات حقيقية ويقال انها موضوعات للمفاهيم الكلية المنحصرة في الفرد ويلتزم أحد الاحتمالات الاخرى كلا الوجهين محل تأمل كما ترى فتأمل واحداً قالوا همزته مبدلة من الواو وأصله وحد وابدال الواو المفتوحة همزة قليل ومنه قولهم امرأة أناة يريدون وناة لانه من الونى وهو الفتور وهذا بخلاف أحد الذي يلزم التثنية ونحوه ويراد به العموم كما في قوله تعالى فامنكم من أحد عنه حاجزين وقوله عليه الصلاة والسلام أحلت لي الفنائم ولم تحل لأحد قبلي وقوله تعالى هل تحس منهم من أحد وقوله سبحانه فلا تدع مع الله أحداً وقوله عز وجل وان أحد من المشركين استجارك فان همزته أصلية وقيل لهزمة في أصلية كالهزمة في الآخر والفرق بينهما قال الراغب ان المختص بالنبي منهما لاستفراق جلس الناطقين ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق نحو ما في الدار

أحد أي لا واحد ولا اثنان فصاعدا لاجتماعين ولا مفترقين ولهذا لم يصح استعماله في الاثبات لان نفي المتضادين يصح ولا يصح اثباتهما فلو قيل في الدار أحد لكان فيه اثبات واحد منفرد مع اثبات ما فوق الواحد مجتمعين ومفترقين وذلك ظاهر الاحالة وتناول ذلك ما فوق الواحد يصح ان يقال مامن أحد فاضلين وعليه الآية المذكورة آنفا والمستعمل في الاثبات على ثلاثة أوجه الاول ان يضم الى العشرات نحو أحد عشر واحد وعشرون والثاني أن يستعمل مضافا أو مضافا اليه بمعنى الاول كما في قوله تعالى اما أحدكما فيسقى ربه خيرا وقولهم يوم الاحد أي يوم الاول والثالث أن يستعمل مطلقا وصفا وليس ذلك الا في وصف الله تعالى وهو وأن كان أصله وحداً الا أن وحداً يستعمل في غيره سبحانه نحو قول النابغة

كأن رحلي وقد زال النهار بنا ثم بدى الجليل على مستانس وحد

انتهى. وقال مكي أصل أحد واحد فابدلوا الواو همزة فاجتمع ألفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احدهما تخفيفا وفرق ثعلب بين أحد وواحد بان أحدا لا يبنى عليه العمد ابتداء فلا يقال احد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به سبحانه وفرق بعضهم بينهما أيضا بان الاحد في النفي نص في العموم بخلاف الواحد فانه محتمل للعموم وغيره فيقال مافي الدار أحد ولا يقال بل اثنان ويجوز ان يقال مافي الدار واحد بل اثنان ونقل عن بعض الحنفية انه قال في التفرقة بينهما ان الاحدية لا تحتمل الجزئية والعديدية بحال والواحدية تحتملها لانه يقال مائة واحدة والالف واحد ولا يقال مائة أحد ولا ألف احد وبنى على ذلك مسألة الامام محمد بن الحسن التي ذكرها في الجامع الكبير اذا كان لرجل اربع نسوة فقال والله لأقرب واحدة منكن صار موليا منهن جميعا ولم يجز أن يقرب واحدة منهن الا بكفارة ولو قال والله لا أقرب أحدا كن لم يصبر موليا الا من احدهن والبيان اليه وفرق الخطابي بأن الاحدية لتفرد الذات والواحدية لتفي المشاركة في الصفات ونقل عن المحققين التفرقة بعكس ذلك ولما لم ينفك في شأنه تعالى أحد الامرين من الآخر قيل الواحد الاحد في حكم اسم واحد وفسر الاحد هنا ابن عباس وأبو عبيدة كما قال ابن الجوزي بالواحد وأيد بقراءة الاعمش قل هو الله الواحد وفسر بما لا يتجزأ ولا ينقسم وقال بمض الاجلة أن الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك فالمراد به هنا حيث أطلق المتصف بالواحدية التي لا يمكن أن يكون أزيد منها ولا أقل فهو وما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد خارجا وذهنا وما يستلزم أحدها كالجسمية والتجزؤ والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وهو مأخوذ من كلام الرئيس أبي علي بن سينا في تفسيره السورة الجليلة حيث قال ان أحدا دال على أنه تعالى واحد من جميع الوجود وأنه لا كثرة هناك أصلا (١) لا كثرة معنوية وهي كثرة المقومات والاجناس والفصول وكثرة الاجزاء الخارجية المتميزة عقلا كما في المادة والصورة والكثرة الحسية بالقوة أو بالفعل كما في الجسم وذلك يتضمن لكونه سبحانه منزها عن الجنس والفصل والمادة والصورة والاعراض والاباض والاعضاء والاشكال والالوان وسائر ما يثلم الوحدة السكاملة والبساطة الحققة اللائقة بكرم وجهه عز وجل عن أن يشبهه شيء أو يساويه سبحانه شيء وقال ابن عقيل الحنبلي الذي يصح لنا من نقول مع اثبات الصفات أنه تعالى واحد في الهيته لا غير وقال غيره من السلفيين كالحافظ ابن رجب هو سبحانه الواحد في الهيته

(١) قوله لا كثرة معنوية الخ كذا في النسخ ولعله سقط من قلم المؤلف ولا كثرة حسبة وهي كثرة الاجزاء

الخارجية وليحرر انقول عن ابن سينا اه

وربوبيته فلا معبود ولا رب سواه عز وجل واختار بعد وصفه تعالى بما ورد له سبحانه من الصفات أن المراد الواحدية الكاملة وذلك على الوجهين كون الضمير للشأن وكونه للمسؤول عنه ولا يصح أن يراد الواحد بالعدد أصلاً إذ يخلو الكلام عليه من الفائدة وذكر بعضهم أن الاسم الجليل يدل على جميع صفات الكمال وهي الصفات الثبوتية ويقال لها صفات الاكرام أيضاً والواحد يدل على جميع صفات الجلال وهي الصفات السلبية ويتضمن الكلام على كونها خبرين الاخبار بكون المسؤول عنه متصفاً بجميع الصفات الجلالية والكجالية وتمقب بأن الالهية جامعة لجميع ذلك بل كل واحد من الاسماء الحسنى كذلك لان الهوية الالهية لا يمكن التعبير عنها لجلالها وعظمتها الا بأنه هو هو وشرح تلك الهوية بلوازم منها ثبوتية ومنها سلبية واسم الله تعالى متناول لهما جميعاً فهو اشارة الى هويته تعالى والله سبحانه كالترريف لها فلذا عقب به وكلام الرئيس ينادى بذلك وسنشير اليه ان شاء الله تعالى وقرأ عبد الله وابى هو الله احد بغير قل وقد اتفقوا على انه لا بد منها في قل يا ايها الكافرون ولا تجوز في تبت فقيل لعل ذلك لان سورة الكافرين مشافة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او موادعته عليه الصلاة والسلام لهم ومثل ذلك يناسب ان يكون من الله تعالى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مأمور بالانذار والجهاد وسورة تبت معانبة لابي لهب والنبي عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم وأدب جسيم فلو امر بذلك لزم مواجبهته به وهو عمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه السورة توحيد وهو يناسب ان يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى وقيل في وجه قل في سورة الكافرون ان فيها ما لا يصح ان يكون من الله تعالى كالأعباد ما تعبدون فلا بد فيها من ذكر قل وفيه نظر لانه لا يلزم ذكره بهنا اللفظ فافهم وقال الدواني في وجه ترك قل في تبت لا يبعد ان يقال ان القول بمعانبة ابي لهب اذا كان من الله تعالى كان أدخل في زجره ونفضيحه وقيل فيه رمز الى أنه لكونه على العلات عمه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينبغي أن يبينه بمثل هذا الكلام الا الذى خلقه اذ لا يبعد أن يتأذى مسلم من أقاربه لوسبه أحد غيره عز وجل فقد أخرج ابن ابي الدنيا وابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه رضى الله تعالى عنهما قال مرت درة ابنة ابي لهب برجل فقال هذه ابنة عدو الله ابي لهب فاقبلت عليه فقالت ذكر الله تعالى أبى بذيابته وشرفه وترك اباك بجهالته ثم ذكرت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فخطب فقال لا يؤذين مسلم بكافر ثم ان اثبات قل على قراءة الجمهور في المصحف والتمزام قرانها في هذه السورة ونظائرها مع انه ليس من دأب المأمور بقل ان يتلفظ في مقام الاثتار الا بالتقول قال المتريدى في التاويلات لان المأمور ليس المخاطب به فقط بل كل احد ابتلى بما ابتلى به المأمور فانبث يبق على مر الدهور منا على العباد وقيل يمكن ان يقال المخاطب بقل نفس التالى كانه تعالى أعلم به أن كل أحد عند مقام هذا المضمون ينبغي ان يامر نفسه بالقول به وعدم التجاوز عنه فتامل والله تعالى الموفق وقوله تعالى (الله الصمد) مبتدأ وخبر وقيل الصمد نعت والخبر ما بعده وليس بشئ. والصمد قال ابن الانبارى لاخلاف بين أهل اللغة أنه السيد الذى ليس فوقه أحد الذى يصمد اليه الناس في حوائجهم وأمورهم وقال الزجاج هو الذى ينتهى اليه السواد ويصمد اليه أى يقصده كل شئ وأنشدوا

لقد بكر الناعى بخير بنى أسد * بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد

وقوله علوته بحسام ثم قلت له * خذها خزيت فانت السيد الصمد

وعن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس انه قال هو السيد الذى قد كل في سودده والشريف الذى قد كل في شرفه والعظيم

الذي قد كل في عظمته والحليم الذي قد كل في حلمه والعليم الذي قد كل في علمه والحكيم الذي قد كل في حكمته وهو الذي قد كل في أنواع الشرف والسودد وعن أبي هريرة هو المستغنى عن كل أحد المحتاج اليه كل أحد وعن ابن جبير هو السكامل في جميع صفاته وأفعاله وعن الربيع هو الذي لا تعتربه الآفات وعن مقاتل ابن حيان هو الذي لا عيب فيه وعن قتادة هو الباقي بعد خلقه ونحوه قول ميمر هو الدائم وقول مرة الحمداني هو الذي لا يبلى ولا يفنى وعنه أيضا هو الذي يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال لأعلمه الاقد رفعة قال الصمد ان الذي لا جوف له وروى عن الحسن ومجاهد ومنه قوله

شهاب حروب لا تزال جياته * عوابس يملككن الشكيم المصمدا

وعن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود قال الصمد الذي ليس له احشاه وهو رواية عن ابن عباس وعن عكرمة هو الذي لا يعلم وفي رواية أخرى الذي لم يخرج منه شيء وعن الشعبي هو الذي لا يأكل ولا يشرب وعن طائفة منهم أبي بن كعب والربيع بن أنس انه الذي لم يلد ولم يولد كانهم جعلوا ما بعده تفسيره والمعول عليه تفسيراً بالسيد الذي يصمد اليه الخلق في الحوائج والمطالب وتفسيره بالذي لا جوف له وما عداها اما راجع اليها أو هو مما لا تساعد عليه اللغة وجعل معنى كونه تعالى سيداً أنه مبدأ الكل وفي معناه تفسيره بالنفي المطلق المحتاج اليه ما سواه وقال يحمتم أن يكون كلا المعنيين مراداً فيكون وصفه تعالى بمجموع السلب والايجاب وهو ظاهر في جواز استعمال المشترك في كلا معنييه كما ذهب اليه الشافعي والذي اختاره تفسيره بالسيد الذي يصمد اليه الخلق وهو فعل بمعنى مفعول من صمد بمعنى قصد فيتعدى بنفسه وباللام والاطلاق الصمد بمعنى السيد عليه تعالى مما لا خلاف فيه وان كان في اطلاق السيد نفسه خلاف والصحيح اطلاقه عليه عز وجل كما في الحديث السيد الله وقال السهيلي لا يطلق عليه تعالى مضافاً فلا يقال سيد الملائكة والناس مثلاً وقصد الخلق اياه تعالى بالحوائج أعم من القصد الارادى والقصد الطيبي والقصد بحسب الاستعداد الاصلى الثابت لجميع الماهيات اذ هي كلها متوجهة الى المبدأ تعالى في طلب كالاتها منه عز وجل وتعريفه دون أحد قيل لهم بصمدية تعالى دون أحديته وتعقب بأنه لا يخلو عن كدر لان علم المخاطب بمضمون الخبر لا يقتضى تعريفه بل انما يقتضى أن لا يلقى اليه الا بعد تنزيله منزلة الجاهل لان افادة لازم فائدة الخبر بمنزل عن هذا المقام فالاولى أن يقال ان التعريف لا فائدة الحصر كقولك زيد الرجل ولا حاجة اليه في الجملة السابقة بناء على أن مفهوم أحد المنزه عن أنحاء التركيب والتعدد مطلقاً الى آخر ما تقدم مع انهم لا يعرفون أحديته تعالى ولا يعرفون بها واعتراض بأنه يقتضى ان الخبر اذا كان معلوماً للمخاطب لا يخبر به الا بتثريه منزلة الجاهل أو افادته لازم فائدة الخبر أو اذا قصد الحصر وهو ينافي ما تقرر في المعاني من أن كون المبتدا والخبر معلومين لا ينافي كون الكلام مفيداً للسامع فائدة مجهولة لان ما يستفيدة السامع من الكلام هو انتساب أحدها للآخر وكونه هو هو فيجوز أن يقال هنا انهم يعرفونه تعالى بوجه ما يعرفون معنى المقصود سواه كان هو الله سبحانه أو غيره عندهم ولكن لا يعرفون انه هو سواه كان بمعنى الفرد الكامل أو الجنس فعينه الله تعالى لهم وقيل ان أحد في غير النفي والمد لا يطلق على غيره تعالى فلم يحتاج الى تعريفه بخلاف الصمد فانه جاء في كلامهم اطلاقه على غيره عز وجل أي كافي البيتين السابقين فلذا عرف وتكرر الاسم الجليل دون الايثار بالضمير فيسأل للاشعار بان من لم يتصف بالصمدية لم يستحق الألوهية وذلك على ما صرح به الدواني مأخوذ من افادة تعريف الجزأين الحصر فاذا قلت السلطان العادل أشعر بان من لم يتصف

بالمعدل لم يستحق السلطنة وقيل ذلك لان تعليق الصمد بالله يشعر بعلية الالهية للصمدية بناء على أنه في الاصل صفة واذا كانت الصمدية نتيجة للالهية لم يستحق الالهية من لم يتصف بها وبحث فيه بأن الالهية فيها يظهر للصمدية لانه انما يعبد لكونه محتاجا اليه دون العكس الا أن يقال المراد بالالهية مبدؤها وما ترتب عليه لاكونه معبودا بالفعل وانما لم يكتب بمسند اليه واحدا لحدو الصمد هو الاسم التجليل بان يقال الله الاحد الصمد للتنبية على ان كلا من الوصفين مستقل في تعيين الذات وترك العاطف في الجملة المذكورة لانها كالدليل عليه فان من كان غنيا لذاته محتاجا اليه جميعا مساويا لا يكون الا واحدا ومساويا لا يكون الا ممكنا محتاجا اليه أو لانها كالنتيجة لذلك بناء على ان الاحدية تستلزم الصمدية والغنى المطلق وبالجملة هذه الجملة من وجه تشبه الدليل ومن وجه تشبه النتيجة فهي مستأنفة أو مؤكدة وقرأ أبان بن عثمان وزيد بن علي ونصر بن عاصم وابن سيرين والحسن وابن أبي اسحق وأبو السمال وأبو عمرو وفي رواية يونس ومحبوب والاصمعي والؤلؤي وعبيد أحد الله بحذف التنوين لالتقاءه مع لام التعريف وهو موجود في كلام العرب وأكثر ما يوجد في الشعر كقول أبي الاسود الدؤلي

فألفيته غير مستعجب * ولا ذاكر الله الا قليلا

وقول الآخر عمرو الذي هشم الثريد لضيفه (١) * ورجال مكة مستنون عجاف

والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين وقوله تعالى (لَمْ يَلِدْ) الخ على نحو ما سبق ونفي ذلك عنه تعالى لان الولادة تقتضي انفصال مادة منه سبحانه وذلك يقتضي التركيب المتنافي للصمدية والاحدية أو لان الولد من جنس أبيه ولا يجانسها تعالى أحد لانه سبحانه واجب وغيره ممكن ولان الولد على ما قيل يطلبه العاقل اما لاعتناؤه أو ليخلفه بعده وهو سبحانه دائم باق غير محتاج الى شيء من ذلك والاقتصار على الماضي دون أن يقال لن يلد لو روده رداً على من قال ان الملائكة بنات الله سبحانه أو المسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ويجوز أن يكون المراد استمرار النفي وعبر بالماضي لمشاكلة قوله تعالى (وَلَمْ يُولَدْ) وهو لا بد أن يكون بصيغة الماضي ونفي المولودية عنه سبحانه لاقتضائها المادة فيلزم التركيب المتنافي للغنى المطلق والاحدية الحقيقية أو لاقتضائها سبق العدم ولو بالذات أو لاقتضائها المجانسة المستحيلة على واجب الوجود وقدم نفي الولادة لانه اهم لان طائفة من الكفار توهموا خلافه بخلاف نفي المولودية أو ككثرة متوهمي خلاف الاول دون خلاف الثاني بناء على أن النصارى يلزمهم بواحدة دعوى الاتحاد القول بالولادة والمولودية فيمن يعتقدونه الها وذلك على ما تضمنته كتبهم انهم يقولون الاب هو الاقنوم الاول من الثالوث والابن هو الثاني الصادر منه صدوراً أزلياً مساوياً بالازلية له وروح القدس هو الثالث الصادر عنهما كذلك والطبيعة الالهية واحدة وهي لسكل من الثلاثة وكل منها متحد معها وذلك هم ثلاثة جواهر لاجوهر واحد فالاب ليس هو الابن والابن ليس هو الاب وروح القدس ليس هو الاب ولا الابن وهما ليسا روح القدس ومع ذلك هم واحد اذ لهم لاهوت واحد وطبيعة واحدة وجوهر واحد وكل منهم متحد مع اللاهوت وان كان بينهم تمايز والاول هو الوجود الواجب الجوهرى والثاني هو العقل الجوهرى ويقال له العلم والثالث هو الادارة الجوهرية ويقال لها المحبة قاله ثلاثة أقانيم جوهرية وهي على تمايزها تمايزاً حقيقياً وقد يطلقون عليه اضافياً أى باضافة بعضها الى بعض جوهر وطبيعة واحدة هو الله وليس يوجد فيه غيره بل كل ما هو داخل فيه عين ذاته ويقولون ان فيه تعالى عما يقولون أربع اضافات أولاها فاعلية التعقيل في الاقنوم الاول ثانيها مفعولية التمقل في الاقنوم الثاني

الذى هو صورة عقل الاب ناليتها فاعليسة الانبثاق في الاقنوم الاول والثانى اللذين لهما الارادة رابتهما
مفعولية هذا الانبثاق في الاقنوم الثالث الذى هو حب الارادة الالهية التى للاقنوم الاول والثانى وزعموا
أن التعبير بالفاعلية والمفعولية في الاقنوم الالهية على سبيل التوسع وليست الفاعلية في الاب نحو الابن الابوية
وفيه وفي الابن نحو روح القدس ليست الا بده صدورهما وليست المفعولية في الابن وروح القدس الابنوية
في الابن والانبثاق في الروح ويقولون كل ذلك مما يجب الايمان به وان كان فوق الطور البشرى ويرغمون
أن لتلك الاقنوم أسماء تلقوها من الحواريين فالاقنوم الاول في الطبع الالهى يدعى أبا والثانى ابنا وكلة
وحكمة ونورا وضياء وشعاعا والثالث روح القدس ومغريا وهو مسمى قولهم باليونانية اراكليط وقالوا في
بيان وجه الاطلاق ان ذلك لان الاقنوم الاول بمنزلة ينبوع ومبدا أعطى الاقنوم الثانى الصادر عنه بفعل
يقضى شبه فاعله وهو فعل العقل طبيعته وجوهره كله حتى ان الاقنوم الثانى الذى هو صورة الاول
الجوهرية الالهية مساو له كالمساواة وحد الايلاء هو صدور حى من حى بالة ومبدا مقارن يقضى
شبه طبيعته وهنا كذلك بل أبلغ لان الثانى الطبيعية الالهية نفسها فلا بدع اذا سمي الاول أبا والثانى ابنا
وانما قيل لثانى كلة لان الايلاء ليس على نحو ايلاء الحيوان والنبات بل بفعل العقل أى بتصور الاب
لاهوته وفهم ذاته ولا شك ان تلك الصورة كلة لانها مفهومية العقل ونطقه وقيل لها حكمة لانه
كان مولودا من الاب بفعل عقله الالهى الذى هو حكمة وقيل له نور وشعاع وضياء لانه حيث كان حكمة
كان به معرفة حقائق الاشياء وانكشافها كالمذكورات وقيل لثالث روح القدس لانه صادر من الاب
والابن بفعل الارادة التى هي واحدة الاب والابن ومنبثق منهما بفعل هو كهيجان الارادة بالحب نحو
محبوبها فهو حب الله والله نفسه هو الروح الصريف والتقدس عينه والسكنى من الاول والثانى وجه لان
يدعى روحا لمساكن الاتحاد لكن لما دعى الاول باسم يدل على رتبته واضافته الى الثانى والثانى كذلك
اختص الثالث بالاسم المشاع ولم يدع ابنا وان كان له طبيعة الاب وجوهره كالابن لانه لم يصدر من الاب
بفعل يقضى شبه فاعله يعنى بفعل العقل بل صدر منه فعل الارادة فالثانى من الاول كهبايل من آدم
والثالث كحواء منه والسكل حقيقة واحدة لكن يقال لهبايل ابن ولا يقال لها بنت وقيل له مغزى لانه كان
عيدا لان يأتي الحواريين فيغريهم لفقد المسيح عليه السلام وأما الفاعلية والمفعولية فلانها غير موجودين
حقيقة والابوية والبنوية ههنا لا تقتضيهما كما في المحدثات ولذا لا يقال هنا للاب علة وسبب لابنه وان قيل هناك
فالثلاثة متساوية في الجوهر والذات واستحقاق العبادة والفضل من كل وجه ثم أنهم زعموا تجسد الاقنوم الثانى
وهو الكلمة واتحاده بأشرف أجزاء البتول من الدم بقوة روح القدس فكان المسيح عليه السلام
المركب من الناسوت والكلمة والكلمة مع اتحادها لم تخرج عن بساطتها ولم تتغير لانها الحد الذى
ينتهى اليه الاتحاد فلا مانع في جهتها من الاتحاد وكذا لامانع في جانب الناسوت منه فلا يتعاضى الله تعالى
شئ زعموا أن المسيح عليه السلام كان الها تاما وانسانا تاما ذا طبيعتين ومشيئتين قائمتين باقنوم الهى وهو
اقنوم الكلمة ومن ثم تحمل عليه الصفات الالهية والبشرية معا لكن من حيثيتين ثم انهم زادوا في الطنبور
رنة وقالوا ان المسيح أطمع يوما الحواريين خزا وسقامهم خرا فقال أكلتم لحمى وشربتم دمي فاتحدثتم
معى وانا متحد مع الاب الى رنات آخر هى أشهر من ان تذكر ويعلم مما ذكرنا انه لا فرق عندهم بين أن
يقال ان الله تعالى هو المسيح وبين أن يقال ان المسيح ابنه وبين أن يقال انه سبحانه ثالث ثلاثة
ولذا جاء في التنزيل كل من هذه الاقوال منسوبا اليهم ولا حاجة الى جعل كل قول لقوم منهم كما قال غير واحد

من المفسرين والتكلمين ثم لا يخفى منافاة ما ذكروه للاحدية والصدمية وقولهم ان الاقنيم مع كونها ثلاث جواهر متميزة تمايزا حقيقيا جوهر واحدا بلداهة بطلانه لا يسمن ولا يخفى وما يذكرونه من المثال لا يوضح ذلك فهو عن الابضاح بمزول وبعيد عن المقصود بألف ألف منزل وكنا ذكرنا في ضمن هذا الكتاب ما يتعلق ببعض عقائدهم مع رده الا انه كان قبل النظر في كتبهم وقد اعتمدنا فيه ما ذكره المتكلمون عنهم واليوم لنا عزم على تأليف رسالة تتضمن تحرير اعتقاداتهم في الواجب تعالى وذكر شبههم العقلية والنقلية التي يستندون اليها ويعولون في التثبوت عليها حسبما وقفنا عليه في كتبهم مع ردها على أكل وجه ان شاء الله تعالى ونسأل الله تعالى التوفيق لذلك وأن يسلك سبحانه بنا في جميع أمورنا أقوم المسالك فهو سبحانه الجواد الاجود الذي لم يجه من توجهه اليه بالرد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ) أي لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وقيل هو نفي للكفاة المعتبرة بين الأزواج وهو كما ترى وله صلة كفوا على ما ذهب اليه المبرد وغيره والاصل أن يؤخر الا أنه قدم للاهتمام لان المقصود نفي الكفاة عن ذاته عز وجل والاهتمام أيضا قدم الخبر مع ما فيه (١) من رعاية الفواصل قيل له ان الظرف هنا وان لم يكن خيرا مبطل سقوطه معنى الكلام لانك لو قلت لم يكن كفوا أحد لم يكن له معنى فلما احتيج اليه صار بمنزلة الخبر فحسن ذلك وقال أبو حيان كلام سيوييه في الظرف الذي يصلح أن يكون خبرا وهو الظرف التام وما هنا ليس كذلك وقال ابن الحاجب قدم الظرف للفواصل ورعايتها ولم يقدم على أحد لثلا يفصل بين المتبدا وخبره وفيه نظر ظاهر وجوز ان يكون الظرف حالا من أحد قدم عليه رعاية للفاصلة ولثلا ياتسبب بالصفة أو الصلة وأن يكون خبرا ليكن ويكون كفوا حالا من أحد قدم عليه لكونه نكرة أو حالا من الضمير في الظرف الواقع خبرا وهذا الوجه نقله أبو علي في الحجة عن بعض النحاة ورد بانها كما سمعت آفا عن أبي حيان ظرف ناقص لا يصح أن يكون خبرا فان قدر له متعلق خاص وهو مماثل ونحوه مما تتم به الفائدة يكون كفوا زائدا ولعل وقوع الجمل الثلاث متعاطفة دون ما عداها من هذه السورة لانها سيقت لمعنى وغرض واحد وهو نفي المماثلة والمناسبة عنه تعالى بوجه من الوجوه وما تضمنته أقسامها لان المماثل اما ولد أو الد أو نظير غيرها فلتغاير الاقسام واجتماعها في المقسم لزم العطف فيها بالواو كما هو مقتضى قواعد المعاني وفي كفو لغات ضم الكاف وكسرها وفتحها مع سكون الفاء وضم الكاف مع ضم الفاء وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفوا بالهمز والتخفيف وحذف بالحركة وابدال الهمزة واوا وباقى السبعة بالحركة مهموزا وسهل الهمزة الاعرج وأبو جعفر وشيبة ونافع في رواية وفي أخرى عنه كفى من غير همز نقل حركة الهمزة الى الفاء وحذف الهمزة وقرأ سليمان بن علي بن عبيد الله بن عباس كفاء بكسر الكاف وفتح الفاء والمد كما في قول النابغة

لا تقذفني بركن لا كفاءه ^٢ أي لا مثل له كما قال الاعلم وهذه السورة الجليلية قد انطلت مع تقارب قطرها على أشد المعارف الالهية والمقائد الاسلامية ولذا جاء فيها ما جاء من الاخبار وورد ما ورد من الآثار ودل على تحقيق معنى الالهة بالصدمية التي معناها وجوب الوجود أو المبدئية لوجود كل ما عداها من الموجودات ثم عقب ذلك ببيان انه لا يتولد عنه غيره لانه غير متولد عن غيره وبين أنه تعالى وان كان الها لجميع الموجودات فياضال الوجود عليها

(١) قوله من رعاية الفواصل قيل له ان الخ في نسخة المؤلف بعد رعاية الفواصل وعن سيوييه أنه اختار أن لا يقدم الظرف اذا لم يكن خبرا وفي شرح الكتاب للسيرافي إن قال قائل قد اختار سيوييه ان لا يقدم الظرف اذا لم يكن خبرا وكتاب الله تعالى أولى بأفصح اللغات قيل له الخ لكنه مضروب عليه وهو كما لا يخفى محتاج اليه اه منه

فلا يجوز أن يفيض الوجود على مثله كما لم يكن وجوده من غيره ثم عقب ذلك ببيان انه ليس في الوجود ما يساويه في قوة الوجود فمن أول السورة الى الصمد في بيان ماهيته تعالى ولوازم ماهيته ووحدة حقيقته وإنه غير مركب أصلاً ومن قوله تعالى لم يلد الى أحد في بيان انه ليس ما يساويه من نوعه ولا من جنسه لا بأن يكون سبحانه متولداً ولا بأن يكون متولداً عنه ولا بأن يسكون موازى في الوجود وبهذا المبلغ يحصل تمام معرفة ذاته عز وجل انتهى وأشار فيه الى أن ولم يولد كالتعليل لما قبله وكان قد قال قبل ان كل ما كان مادياً أو كان له علاقة بالمادة يسكون متولداً عن غيره فيصير تقدير الكلام لم يلد لانه لم يتولد والأشارة الى دليله هو أول السورة فانه لما لم يكن له ماهية واعتبار سوى انه هولذاته وجب أن لا يكون متولداً عن غيره والا لكانت هويته مستفادة عن غيره فلا يكون هو لذاته وظاهر العطف يقتضى عدم اعتبار ما أشار اليه من العلية وقد علمت فيما سبق وجه ذكره وجلل بعضهم العطف فيه قريبا من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون وأشار بعض السلف الى أن ذكر ذلك لانه جاء في سبب النزول انهم سألوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه سبحانه من أى شيء هو أمن كذا أم من كذا ومن ورث الدنيا لمن يورثها وقال الامام ان هو الله أحد ثلاثة ألفاظ وكل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات الطالبين فالمقام الاول مقام المقربين وهو أعلى مقامات السائرين الى الله تعالى وهؤلاء نظروا بعين عقولهم الى ما هيأت الاشياء وحقائقها من حيث هي فأرأوا موجودا سوى الحق لانه الذى يجب وجوده لذاته وما عداه ممكن لذاته فهو من حيث ذاته ليس فقالوا هو اشارة الى الحق اذ ليس هناك في نظرهم موجود يرجع اليه سواء عز وجل ليحتاج الى التمييز والمقام الثانى لأصحاب اليمين وهؤلاء شاهدوا الحق سبحانه موجودا وكذا شاهدوا الخلق فحصلت كثرة في الموجودات في نظرهم فلم يكن هو كافيا في الاشارة الى الحق بل لا بد من تمييز فاحتاجوا الى ان يقرنوا لفظة الله بلفظ فقيل لاجلهم هو الله والمقام الثالث مقام أصحاب الشمال الذين يجوزون أن يكون واجب الوجود أكثر من واحد والاله كذلك فجئ بهما باحدردا عليهم وابطالا لمقاتلهم انتهى وبعض الصوفية عد لفظة هو من عداد الاسماء الحسنى بل قال ان هاهى الغيبة هي اسمه تعالى الحقيقى لدلالته على الهوية المطلقة مع كونه من ضروريات التنفس الذى به بقاء حياة النفس واشعار رسمه بالاحاطة ومرتبته من العدد الى دوامه وعدم فئائه ونقل الدوانى عن الامام انه قال علمنى بعض المشايخ ياهو يامن هو يامن لاله الا هو وعلى ذلك اعتقاد أكثر المشايخ اليوم ولم يرد ذلك في الاخبار المقبولة عند المحدثين والله تعالى أعلم

سورة الفلق

مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر ورواية كريب عن ابن عباس مدينية في قول ابن عباس في رواية أبي صالح وقناة وجماعة وهو الصحيح لان سبب نزولها محر اليهود كما سيأتى ان شاء الله تعالى وهم انما سحروه عليه الصلاة والسلام بالمدينة كما جاء في الصحاح فلا يلتفت لمن صحح كونها مكية وكذا الكلام في سورة الناس وآيها خمس بلا خلاف ولما شرح أمر الالهية في السورة قبلها جرى بها بعدها شرحا لما يستعاذ منه بالله تعالى من الشر الذى في مراتب العالم ومراتب مخلوقاته وهى والسورة التى بعدها نزلتا معا كما في الدلائل للبيهقى فلذلك قرنتا مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوذين ومن الافتتاح بقل أعوذ. وأخرج مسلم والترمذى والنسائى وغيرها عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنزلت على الليلة آيات لم أر مثلهن قط